تعميم هذه المقاييس يفترض شخصية وسطا كذلك ، ويطالب الكل بان يتقمصها . والفرد عوضا من ان يواجه امكانياته الخاصة ، ويعاني أزمة وجود ، فانه يفر من القلق الى الامان بان يتقبل كل الافكار الوسط ، كل العواطف والمفاهيم المتداولة من الهم ، وبهذا يرتاح من جهة ، كما انه يتخلص من عبء مسؤولية كبرى وهو ان يكون ذاته الخاصة وليس ذات الكل .

فما هي علاقة هذا (الهم) بوجود السديمية الذي نحن بصدده الان ؟ من الواضح ان هيدجر في هذا المصطلح يريد ان يحدد لنا وجود السواد الاعظم من الناس ، الذين يتخلون عن شخصيتهم الفردية ، ويستعيرون شخصية الجماعة ، ويتبنون تراثها في كل فروعه ومستوياته ، وهم هؤلاء الذين لا تجربة وجودية خاصة بهم ، وبالتالي لا عمق ميتافيزيقي لهم .وهو في هذا التحليل الرائع انما يستند كذلك الى ما كان اشار اليه كيركيجارد في مصطلحه الخاص (Plebs) كما بين ذلك جان فال في كتابه عنه . وما قصد كذلك كير كيجارد بهذا الا ان يصنف الافراد الوسط الذين لا يملكون اي اشكال شامل ، اللهم الا ما يقلقهم بالنسبة لحاجاتهم الاولية حتى قال كيركيجارد في مذكراته : « يوجد اناس في الحياة كانهم احرف نداء في الخطاب لا تأثير لها على العبارة .(1)» ان امثال هؤلاء يؤلفون في الواقع عقبة الحرية .

غير ان هذه السديمية التي نعنيها هنا ، وان كانت تبدو انها شكل خاص من (الهم) لا يعرفه هيدجر ، لان الحضارة الغربية التي يعيش فيها لم تقدم له مثل هذه التجربة ، الا انها مع ذلك تختلف عنه . وهو اختلاف يبدو لنا جيدا عندما نتامل خصوصية التجربة العربية مجردة . صحيح ان كلا من السديمية و (الهم) يمارس نوعا من الطغيان المستبد تلقاء الفرد الذي يحاول ان ينفصل عنه ، الا ان الوجودي الهيدجري تنتهي محاولته عند حد ،الالتقاء بحريته التي يحققها في عزلته السلبية . واما الثوري العربي فهو لا يكتفي بالانفلات من قبضة السديمية بل ينقلب ضدها ، مناضلا اياها ليس في اعماقه الفردية فحسب ، بل في اعماق الذوات الاخرى ،المحيطة به ، لان الثورية العربية ، رغم انها فردية ، الا انها تحمل طابع التحريض لان يكون كل انسان فرديته الحقيقية ، اي ان يخضع لشرط العربي المشروع ، ولا شرط الا ان يكون العربي الثوري . فالسديمية العربية اذن هي شكل خاص من (الهم) ، لانها تلتقي معه في جذورها الوجودية . ولكنها مع ذلك تختلف عنه ، في كون السديمية معرضة هي نفسها للهدم ، في كل لحظة تنبثق تجاهها ثورية اصيلة ، فتنتقل الى صميمها وتبعثر تكتلها المتخثر . وفي كون هذه السديمية افظع بطشا في طغيانها ، واقرب الى ان تكون كتلة مادية فقدت جميع عناصرها الانسانية كما سنرى . واذا كان (الهم) صيغة مطلقة للوجود اللامشروع بالنسبة للانسان ، فانه بالنسبة للعرب يتحمل جميع سوالب الوجود القومي المقاوم للثورية . وهكذا رغم مادية السديمية فانها تتزمن ، وينظر اليها من قبل الثوري على انها من صنع الماضي ، ليس الماضي الانساني ، بل هذا الماضي ذو الخصائص المحددة الذي كان لامة معينة خلال تاريخها القومي الذاتي. انها من صنع (الهم) الماضين. واما الهم الحاضرون ، فهم الذين يتابعون ما صنع لهم . انهم مخلوعون عن ذواتهم ، يحيون في الحاضر ، ولكن الحاضر

ـ التتمة على الصفحة ٢٨ ـ

(1) J. Wahl : Etures Kierkegardiennes P. 497

قصيدة وفنجان قهوة

مقهى ، ووجوه تختنق
وعيون ، يأكلها القلق
نظرات ، تقفز هاربة
أبدا ، وخطوط تنسحق
ولفافة تبغ ، تحترق

*

ضوضاء ، تغرق في ضوضاء
وتغط ، بغفوتها ، الاشياء
كسل ، يتمطى ، من خدر
وفراغ ، يختطف الاضواء
ونصال ، ترقص جائعة
والعالم ، مصلوب أشلاء
تتسكع آلهة ، حمقاء
ولفافة تبغ ، تحترق

*

وتفر طيوف ، تنطلق
والوهم ، زجاجي الق
والحلم بزاخر لجته
انهار فراش ، تصطفق
وتساقط اجنحة بيضاء

*

يا كهف الزئبق ، يا فنجان !
يبتلع الوحدة ، والاحزان
رأس ، تتدحرج طافية
ومحنطة ، بسحاب دخان
وترجرج وهج ، محتبس
وتلوى خيط ، من الوان
ولفافة تبغ ، تحترق

*

مقهى ، ووجوه تختنق
وحروف تسقط ، باردة
وجفون ، يمضغها الورق
جيف الالحان ، بغير دماء
تهوي ، متكدسة صفراء
وصنوج اليأس ، مولولة
والفكرة ، أسوار صماء
والموت ، ظلام منطبق
والريح ، تموء بكل مكان
يا كهف الزئبق
يا فنجان(*)

حمص — عبد الباسط الصوفي

(*) من مجموعة « ابيات ريفية » المعدة للطبع